مصوّر هارب وكلب مهجن كل منهما يسعى لترويض الوحش داخل الآخر

«إخضاع الكلب».. صراع الإنسان المعاصر لترويض الوحش داخله

بين الكلب والرجل رفقة غريبة (لوحة للفنان سيروان باران)

يحاول الكثير من الروائيين الإيغال في العلاقة بين الإنسان والحيوان في أعمال سردية يفتح بعضها أبوابا عجائبية تخول له أن يتناول بطريقة خيالية قصة الإنسانية بل وحتى تحديد ماهية الكائن البشري. إنها تحاول مرة أخرى أن تغوص حتى في أعماق عوالم غريبة عنها وهي تستثمر كل العناصر الممكنة.

القاهرة – بين الإنسان والكلب حكايات كثيرة قوامها الوفاء والمحبة والأمان، لكن الكاتب المصري أحمد الفخراني ينسج بينهما علاقة جديدة في روايته "إخضاع الكلب" تتدرج من الخوف إلى الندية وصولا إلى القتل.

الرواية الصادرة في 154 صفحة هي التعاون الأول بين الفخراني (40عاما) ودار الشروق، والخامسة في رصيده الروائي بعد روايات "ماندورلا" و"سيرة سيد الباشا" و"عائلة جادو" و"بياصة الشوام" إضافة إلى مؤلفات أخرى.

تحكي الرواية عن رجل وكلب، والرجل هو المصور هارون عبدالرحيم الذي انتقل إلى مدينة دهب آملا في إقامة حصن من العزلة يحميه من الشر ومن التجربة بعد تعرضه للخيانة. الرجل المصاب بفوبيا الكلاب يجد نفسه مضطرًا للحفاظ على كلب تركته له أسما، الفتاة الوحيدة التي استطاعت اقتحام عزلته المزعومة لتنطلق بعدها رحلة يحاول فيها الرجل إخضاع الكلب. لكن كيف يمكن لمن لم يستطع إخضاع الحياة أن يُخضع إحدى كائناتها؟

علاقة ملتبسة

تبدأ الأحداث فعليا في التعقد مع وجود كلب أسود يظهر في حديقة منزل الشخصية الرئيسية دون سابق إنذار، بعد أن طُرد الرجل قبلها بواسطة كلب وحشي بثلاثة رؤوس، ثم جلس بعدها على الشاطئ يقرأ رواية "السيد بالومار" للإيطالي إيتالو كالفينو ويريد أن يموت. لم تحتج الرواية أكثر من هذه المشاهد لتبين الاضطراب النفسي لشخصية البطل.

وتدور أحداث الرواية في مدينة دهب المصرية المطلة على البحر الأحمر والتي لجأ إليها المصور الفوتوغرافي هارون عبدالرحيم الذي قرر الانعزال وهجر حياته السابقة بعد اكتشافه خيانة زوجته وتشككه في نسب طفله الوحيد.

وعن اختياره لهذه المدينة البعيدة عن العاصمة يقول بطل الرواية "عندما اخترت دهب للإقامة لم أكن أبحث عن الهدوء وجمال الطبيعة، بل الضجر ورتابة الألوان، ظننت فيهما علاجي من تلاحق الصور وغواية الانتحار".

ويعاني هارون من خوف شديد من الكلاب، وفي إحدى الليالي يجد نفسه محاصرا بقطيع مسعور لا ينقذه منه سوى ظهور أسما، تلك الفتاة الساحرة التي بزغت من العدم وشغلت فكره.

وقبل أن تتطور علاقته مع السمراء الجميلة ويعرف تفاصيل قصتها تفاجئه هي بالرحيل عن دهب تاركة له هدية غير مرغوب فيها على الإطلاق، كلب جيرمان مُهجن مع بلدي مربوطا في حديقة منزله اسمه ونيس ومعه رسالة من أسما تطلب فيها رعايته لأيام حتى تعود من سفر طارئ.

ينقلب عالم هارون رأسا على عقب أمام هذه المشكلة المضاعفة، فهو لم يعتد رعاية الحيوانات بشكل عام ولم يدرج هذا في خطته للانعزال إضافة إلى أن الضيف الثقيل هو أكثر حيوان يخافه.

يقول هارون في إحدى فقرات الرواية "لم آت إلى هنا إلا بحثا عن نسيان كامل ونهائي، كأني لم أكن، كأني لم ألمس أحدًا، أو أخطو على الأرض، كأني لم أتعرض أو آتِ بالأذى، لم أنطق بالسوء ولم أفسد قرابيني إلى الحياة. كأني لم أكره أو أحب، لم أختر ولم أختر، عازمًا على ألا أفعل شيئًا، ألا أصنع تاريخًا جديدًا، حُبًا، صداقات، أعداء. ألا أدخل معارك، ألا أنافس أحدًا، ألا أطمح لشيء، أن تُمحى مني الرغبات والشهوات، أن أرى كل ما قاتلت من أجله تافهًا وبائسًا، لم يستحق الثقل أو الخفة، الصد أو الهجران، أن أكون نسيًا منسيًا".

يتجاهل هارون وجود الكلب تاركا إياه مربوطا في الحديقة ثم يبدأ في محاولة التخلص منه بشتى الطرق إلى أن يستقر الحال بهما لمحاولة التعايش معا وهي الرحلة التي تأخذ الشق الأكبر من الرواية.

يوغل المؤلف في تفاصيل العلاقة بين هارون وونيس حتى تظنهما انعكاسا لبعضهما بعضا، فهي تتأرجح بين العناد المشترك بين الاثنين والحب الذي يفتقده كل منهما خاصة هارون الذي يحاول تعويض غياب ابنه، وإن ظلت المعضلة الأساسية سعي كل طرف لترويض الوحش الذي بداخل الآخر.

هذه العلاقة غير المستقرة طوال الوقت تعكس نواقص ومتناقضات شخصية هارون وملامح اضطرابه النفسي الذي يتضح من خلال السرد أنه طوال الوقت يخلط بين الواقع والمتخيل وبين ما تراه عينه وما يدور في خياله بما في ذلك خيانة زوجته الأجنبية له مع أقرب أصدقائه.

ويتبلور مغزى اختيار التصوير الفوتوغرافي مهنة للبطل إذ دائما ما ينظر المصور إلى الأشياء من خلف العدسة، وهي إحالة متعمدة تجعل القارئ يشعر على امتداد الرواية بوجود حاجز بين هارون ومحيطه إلى درجة تثير الشك في صدقية ما يسرده برمته.

ومع عودة أسما في نهاية الرواية ينهار العالم الذي اعتقد هارون أنه بناه على مدى شهور مع ونيس "فتحت لها الباب، فوثب ونيس فوقها، احتضنها، تمرغا على الأرض، لم تهَب أسنانه التي عضتها برفق، كان حيا كما لم أره من قبل، لا يضع مسافة أو حاجزا بينه وبينها، لا أثر في عينيه لشيخوخة العجائز أو فظاظة الوحوش، بل أكثر الكلاب لطفا وودا على الإطلاق، كأني أمام كلب آخر لا أعرفه، كل حركة يصدرها تجاهها تنغرس في روحي كخنجر مسموم، كحكم قاس على وجودي أني لا أستحق الحب".

راو لا يعوّل عليه

في توصيفه للرواية يقول الكاتب أحمد الفخراني إن روايته تتناول الإنسان المعاصر وحياته المتسمة بالعزلة والمليئة بالشكوك والخوف وعدم القدرة على التواصل مع الآخر كما تطرح أسئلة عن معاني الصداقة والحب والأبوة.

يصوّر لنا الفخراني في رواية "إخضاع الكلب" الحياة عبر طبقة زجاجية شفافة، لكنها صلبة، جميلة لكنها قاسية. المصور هارون عبدالرحيم عاجز عن التواصل مع العالم، لا يعرف طريقة لنيل الحب سوى إرضاء نرجسية البشر بتخليدهم في صورة، يتواصل عبر الصور، وعبرها أيضاً يكوّن حياة. ومن هناك تبدأ مأساته.

وفي مناقشة للعمل عبر تطبيق زوم على الإنترنت قال "على امتداد مشروعي الروائي الذي شمل خمس روايات حتى الآن، كانت تشغلني فكرة رؤية الإنسان للعالم المحيط من خلال ما يدور في ذهنه هو وليس وفقا للواقع، وأرى أن هذه أصبحت سمة أساسية للفرد المعاصر".

وأضاف "اتباع أسلوب الراوي الذي لا يعوّل عليه يبرز هذه الفكرة، وهو أسلوب يلازمني منذ أول رواية أصدرتها لكن أعتقد أن هذه أول مرة يأتي بهذا الإحكام".

يعتمد هذا الأسلوب على طمر بعض الوقائع أو المعلومات بين السطور التي يتضح عند اكتمال الرواية تناقضها مع كلام الراوي ليكتشف القارئ كذبه أو عدم اتزانه النفسي وحينئذ يبدأ إعادة قراءة العمل بشكل مختلف.

وعن علاقته بالحيوانات وخاصة الكلاب قبل كتابة الرواية قال "كانت لي تجربة قصيرة مع تربية الكلاب والقطط لكني قرأت كثيرا عن الحيوانات، قرأت كتبا مترجمة وشاهدت فيديوهات ودرست الموضوع بشكل كبير".

وأضاف "تواصلت أيضا مع أصحاب كلاب وتابعت كيف يعاملونها، أخذ الأمر مني جهدا كبيرا لكني استمتعت بالتجربة".

> رواية تتناول الإنسان المعاصر وحياته المتسمة بالعزلة والمليئة بالشكوك والخوف وعدم القدرة على التواصل مع الآخرين

باحثة جزائرية تفكك الأنسنية مستعينة بهابرماس

الجزائر – يعالج كتاب "الأنسنية والخطاب النقدي" للباحثة الجزائرية إصلاح نويوة قضية فكرية غاية في الأهمية اليوم ألا وهي الأنسنة، رغم ما يشوب المقاربات التي تتناولها من تعقيد.

وتعتبر الأنسنية تيارا فلسفيا كاملا يعتمد على وجهات النظر الفلسفية والأخلاقية التي تركز على قيمة وكفاءة الإنسان، سواء كان فردًا أو جماعة، وتفضل عمومًا التفكير والاستدلال عبر العقلانية والتجريبية على المذاهب أو العقائد الثابتة أو المنزلة الإيمانية.

تقول المؤلفة إنّ الفكر الأنسني انبجس من الدراسات الغربية في عصر التنوير، وحدثت تغيُّرات وتطوُّرات على مفهومه بحسب العصور الأدبية والتيارات الفلسفية التي جعلته مدلولا متحوّرا، لم ينل قدره من الدراسة الكافية، حتى إنّ هناك من يتفادى الخوض في غماره لارتباطه بقضايا فلسفية كبرى ومقولات فكرية أسّست للفكر الغربي، وتمحورت حولها قضايا ونظريات الفكر الحداثي وما بعد الحداثي في حقل الدراسات الثقافية والنقد الثقافي.

وحاولت الباحثة في كتابها الصادر عن دار خيال للنشر والترجمة، الحفر في أركيولوجيا هذا الفكر، وكشف أنساقه الفكرية مع استنتاج علاقتها مع معارف أخرى من خلال بابين أولهما "الأنسنيّة ملامحُها وأزماتها في الأدب".

وفي الفصل الأول من الباب الأول "الخطاب الأنسنيّ كممارسة" حاولت الباحثة التأسيس للفكر الأنسنيّ كممارسة نقدية جديدة واستراتيجية قرائية لها مصطلحاتها وأدواتها المنهجية لقراءة الخطاب الأدبي في ضوء الفكر الأنسنيّ، لتسمح للخطاب بأخذ حقه من التحليل باعتبار القراءة فعل تحرير وتنوير إنسانيين، يقرأ الآخر المختلف والأصلاني بشفافية بعيدا عن التحيُّز والتمييز العنصري والجغرافي والقومي والعقائدي، كون الأنسنة لا تمتُّ بصلة للإقصاء والانكفاء، بل تهدف إلى التمحيص النقدي للأشياء بما هي إنتاج للعمل البشري.

وقامت الباحثة في الفصل الثاني باستخلاص أهمّ المقولات الفكرية والنظريات النقدية التي تعارض هذا الفكر وتردُّ عليه بالكتابة تحت عنوان "الإنسانوية النقدية والإنسانوية المضادة"، تتلخّص في أهمّ المقولات الفلسفية التي تتمثل في الذاتية، و"موت الإله" لنيتشه، و"موت الإنسان" لميشيل فوكو، و"موت المؤلف" لرولان بارث، و"نهاية التاريخ" لفوكوياما، و"البنيوية البنائية" لليفي ستراوش، و"التاريخانية الجديدة والرأسمالية" لماركس.

وفي الباب الثاني حاولت نويوة مساءلة الخطاب النقدي وقراءته انطلاقا من مرجعيات فكرية على غرار ديمقراطية الخطاب النقدي وقضايا المثقف في الفضاء العمومي، حيث وصلت الفكرَ الأنسني بالخطاب النقدي لتحريره من السلطات والمركزيات القابعة خلفه، ثمّ تقصّي دور المثقف في الفضاء العمومي واهتماماته وقضاياه التي ينبغي أن يقتحمها فكره ويعكسها هذا المثقف الذي انطلق من تحديد دوره فلاسفةٌ أمثال سارتر وغرامشي وعلي حرب.

واقترحت الباحثة الاستعانة بفكر الفيلسوف يورغن هابرماس الذي ينتمي إلى مدرسة فرانكفورت من خلال تفعيل نظرية "الفعل التواصلي" أو "أخلاقيات التواصل" مع الفكر الأنسني ونظرية الاعتراف للفيلسوف هونث أكسل لتكوين خطاب يرحب بالاختلاف والتثاقف والانفتاح الفكري بعيدا عن ثنائيات المركز والهامش، والأنا والآخر، والأبي.

تاريخ الحضارة الإسلامية من المغرب إلى المشرق

الإسكندرية (مصر) – يقع كتاب "بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية" للباحث أحمد مختار العبادي في مجلدين، ويأتي ضمن سلسلة منشورات علمية وثائقية تصدرها مكتبة الإسكندرية انطلاقًا من حرصها واهتمامها بنشر المؤلفات العلمية لكبار المتخصصين في المجالات المختلفة.

وتتناول موضوعات الكتاب فصولًا من التاريخ والحضارة الإسلامية في مراحل تاريخية متعاقبة، منها صور لدور مصر الريادي في العصر الإسلامي الوسيط، وتاريخ الإسكندرية كعاصمة للثقافة في العصر الإسلامي الوسيط، وحضارة الإسكندرية وتاريخها في العصرين الفاطمي والأيوبي، والحياة الاقتصادية في المدينة الإسلامية، ودولة سلاطين المماليك في الهند وأوجه الشبه بينها وبين دولة المماليك في مصر، والمعراج وصداه في التراث الإنساني.

ويتضمن الكتاب دراسات تناولت العلاقات بين مشرق العالم الإسلامي ومغربه، ومنها نظرة أهل المغرب والأندلس نحو القدس، ومظاهر البعد المتوسطي في الثقافة الأندلسية، والموحدون والوحدة الإسلامية، وسياسة الفاطميين نحو المغرب والأندلس، ونظام الخلافة في الغرب الإسلامي في العصر الوسيط، وصور من التسامح الديني والتعايش السلمي والتبادل العلمي في الأندلس، ودراسة مفصلة عن التراث العربي الإسباني والمصادر العربية والحوليات الإسبانية التي تأثرت بها.

كما يضم الكتاب بحوثا تناولت العلاقات بين الأندلس والمغرب في أواخر العصر الإسلامي الوسيط، والزراعة في الأندلس وتراثها العلمي، ووسائل الدعاية والإعلام في المغرب والأندلس في العصر الوسيط، والتأثير المحلي في الرواية التاريخية الأندلسية، ومملكة بني نصر في غرناطة ودورها الحضاري، والحضارة الإسلامية في جزيرة صقلية، ومدينة إشبيلية عبر التاريخ الإسلامي الوسيط، والتعريف بثلاثة رموز حضارية مغربية عالمية في القرن الثامن الهجري وهم عبدالرحمن بن خلدون ولسان الدين بن الخطيب وابن بطوطة وتراثهم الفكري والعلمي.

ويذكر أن الكتاب صدر عن مركز دراسات الحضارة الإسلامية بمكتبة الإسكندرية، أما أحمد مختار العبادي فهو أحد رواد الدراسات التاريخية والحضارية، ومِنْ كبار الرواد والعلماء المصريين مِمَّنْ شاركوا في التطور المعرفي للدراسات التاريخية المشرقية والمغربية والأندلسية.

تاريخ مليء بالحكايات